****

**حقوق وواجبات**

**النبي ﷺ على أمته**

**إعداد**

**الدكتور/ كامل صبحي صلاح**

**أستاذ الفقه وأصوله بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سابقًا**

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لا شك أن لنبيّنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حقوقًا وواجبات على أمته كلّها، وهذا من عظيم فضله الكبير عليهم ورحمته بهم، ولقد كان للعلماء قديمًا وحديثًا العناية الكبيرة، والجهود العظيمة، في جمع سيرته وخصائصه وفضائله وصفاته، فلم يخل كتاب من كتب السنة من ذكر سيرته ومآثره وخصائصه وفضائله وصفاته، ومما يجب أن يُعلم أن دراسة وتدريس السيرة النبوية، لهو من أعظم العلوم وأشرفها، فهي تدرس سيرة سيدِ وأشرف الخلق محمد ﷺ الذي هو أعظم رجل في تاريخ البشرية كلّها، وإنّ من هذه الكتب النافعة التي أُفردت في علم السيرة النبوية: السيرة النبوية، لابن هشام، والسيرة النبوية، لابن إسحاق، وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس، والسيرة النبوية، للحافظ ابن كثير، والشمائل المحمدية، لأبي عيسى التِّرْمذيِّ، وزاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي، والسيرة النبوية: دروس وعبر، للشيخ مصطفى السباعي، والسيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، وفقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، والسيرة النبوية الصحيحة، لأكرم ضياء العمري، والرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، وغيرها من كتب السيرة النبوية النافعة، وتُعدّ دراسة وتدريس السيرة النبوية من أقلّ الحقوق والواجبات المفروضة على الأمة بأسرها اتجاه نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، فلقد أوتي نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جوامع الكلم، ورُزق من القول أصدقه، ومن الفعل أحسنه، ومن المعنى أصحّه وأمكنه، ومما يجب أن يُعلم ويُفهم معنى شهادة أن محمدًا رسول الله، وإنّ من أجمع ما قيل في بيان هذا المعنى هو: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاء عمّا نهى عنه وزجر، وعبادة الله تعالى بما شرع لنا نبيّنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتّصف في قومه بخلال عذبة وأخلاق فاضلة، وشمائل كريمة فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأعزهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وألينهم عريكة، وأعفهم نفسًا، وأكرمهم خيرًا، وأبرهم عملًا، وأوفاهم عهدًا، وآمنهم أمانة. قال الشيخ صفي الرحمن المباركفوري: «وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمتاز في قومه بخلال عذبة وأخلاق فاضلة، وشمائل كريمة فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا،وأعزهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وألينهم عريكة، وأعفهم نفسًا، وأكرمهم خيرًا، وأبرهم عملًا، وأوفاهم عهدًا، وآمنهم أمانة حتى سماه قومه "الأمين" لما جمع فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية، وكان كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي اللَّه عنها يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق» «الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص، 63».

وقال ابن القيم الجوزية: «ما من صفة حميدة وجدت في نبي من الأنبياء إلا كانت في النبي صلى الله عليه وسلم في أعظم مقاماتها» «زاد المعاد لابن القيم الجوزية».

وكيف لا يكون كذلك، وقد وصفه ربنا جل وعلا، بقوله:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِیمࣲ﴾ [القلم:٤]، أي: وإنك لعلى الخلق العظيم الذي جاء به القرآن الكريم، فأنت مُتَخَلِّق بما فيه على أكمل وجه، وعاليًا به، وهذا ما فسّرته به أم المؤمنين، عائشة رضي الله عنها، لمن سألها عنه، فقالت: [كان خلقه القرآن]، حيث اتّصف نبينا محمد ﷺ بمكارم الأخلاق، فكان له منها أكملها وأجلّها، وهو في كل خصلة طيبة في الذروة العليا منها، فكان ﷺ سهلًا لينًا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه أمر محذور، وإن عزم على أمر لم يستبدّ به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه وجهه، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إليه غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال ﷺ.

ومن المعلوم أنّ النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأصحابه عاشوا في مكَّة المكرمة حياةً صَعبةً، مِلْؤها أذَى الكفَّار لهم، والتَّضييقُ عليهم في أمْر الدَّعوة إلى دين الإسلام، وما لحق بهم من تعذيب وإيذاء، حتى أمر اللهُ سُبحانه وتعالى نَبيَّه صلى الله تعالى عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة.

ففي الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: "لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إلَّا وَهُما يَدِينَانِ الدِّينَ، وَقالَ أَبُو صَالِحٍ: حدَّثَني عبدُ اللَّهِ، عن يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ، أنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إلَّا وَهُما يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إلَّا يَأْتِينَا فيه رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الحَبَشَةِ، حتَّى إذَا بَلَغَ بَرْكَ الغِمَادِ لَقِيَهُ ابنُ الدَّغِنَةِ، وَهو سَيِّدُ القَارَةِ، فَقالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فأنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ في الأرْضِ، فأعْبُدَ رَبِّي، قالَ ابنُ الدَّغِنَةِ: إنَّ مِثْلَكَ لا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ، فإنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ، وَأَنَا لكَ جَارٌ، فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ ببِلَادِكَ، فَارْتَحَلَ ابنُ الدَّغِنَةِ، فَرَجَعَ مع أَبِي بَكْرٍ، فَطَافَ في أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَقالَ لهمْ: إنَّ أَبَا بَكْرٍ لا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فأنْفَذَتْ قُرَيْشٌ جِوَارَ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَآمَنُوا أَبَا بَكْرٍ، وَقالوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ، فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ في دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ، وَلْيَقْرَأْ ما شَاءَ، وَلَا يُؤْذِينَا بذلكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنْ به، فإنَّا قدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، قالَ ذلكَ ابنُ الدَّغِنَةِ لأبِي بَكْرٍ، فَطَفِقَ أَبُو بَكْرٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ في دَارِهِ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بالصَّلَاةِ، وَلَا القِرَاءَةِ في غيرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لأبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بفِنَاءِ دَارِهِ وَبَرَزَ، فَكانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَتَقَصَّفُ عليه نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ وَيَنْظُرُونَ إلَيْهِ، وَكانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لا يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ القُرْآنَ، فأفْزَعَ ذلكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فأرْسَلُوا إلى ابْنِ الدَّغِنَةِ، فَقَدِمَ عليهم فَقالوا له: إنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ علَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ في دَارِهِ، وإنَّه جَاوَزَ ذلكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بفِنَاءِ دَارِهِ، وَأَعْلَنَ الصَّلَاةَ وَالقِرَاءَةَ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، فَأْتِهِ، فإنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ علَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ في دَارِهِ فَعَلَ، وإنْ أَبَى إلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذلكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فإنَّا كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لأبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ، قالَتْ عَائِشَةُ: فأتَى ابنُ الدَّغِنَةِ أَبَا بَكْرٍ، فَقالَ: قدْ عَلِمْتَ الذي عَقَدْتُ لكَ عليه، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ علَى ذلكَ، وإمَّا أَنْ تَرُدَّ إلَيَّ ذِمَّتِي، فإنِّي لا أُحِبُّ أَنْ تَسْمع العَرَبُ، أَنِّي أُخْفِرْتُ في رَجُلٍ عَقَدْتُ له، قالَ أَبُو بَكْرٍ: إنِّي أَرُدُّ إلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بجِوَارِ اللَّهِ وَرَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَومَئذٍ بمَكَّةَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بيْنَ لَابَتَيْنِ»، وَهُما الحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَن هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ حِينَ ذَكَرَ ذلكَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وَرَجَعَ إلى المَدِينَةِ بَعْضُ مَن كانَ هَاجَرَ إلى أَرْضِ الحَبَشَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا، فَقالَ له رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «عَلَى رِسْلِكَ، فإنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي»، قالَ أَبُو بَكْرٍ: هلْ تَرْجُو ذلكَ بأَبِي أَنْتَ؟ قالَ: «نَعَمْ»، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ علَى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ" " أخرجه البخاري/ ٢٢٩٧".

وفي هذا الحديثِ تُخبِرُ عائشةُ رَضيَ اللهُ تعالى عنها طَرَفًا ممَّا عاصَرَتْه مِن تلك الفترةِ؛ فتَرْوي أنَّها لمَّا كَبِرَت ووَعَتْ كان أبَواها أبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ وأمُّ رُومانَ يَدينانِ بِدينِ الإسلامِ، وكان لا يَمُرَّ يومٌ عليهم إلَّا ويَأْتيهم فيه رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ «طَرَفَيِ النَّهارِ: بُكرَةً وعَشيَّةً»، أي: مرَّةً يَأتِيهم في أوَّلِ النَّهارِ، ومرَّةً يَأتِيهم في آخِرِه، فلمَّا ابْتُلِيَ المُسلِمونَ بِأذَى المشرِكينَ، وأذِنَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِأصحابِه في الهِجرةِ إلى الحَبَشةِ، خرَجَ أبو بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه مُهاجِرًا إلى الحَبَشةِ؛ لِيَلحَقَ بمَنَ سَبَقَه مِنَ المسلِمينَ، فَسارَ حتَّى إذا بَلغَ بَرْكَ الغِمادِ -وهو مَوْضِعٌ وَراءَ مكَّةَ بِخَمْسِ ليالٍ (140 كم)- لَقِيَه ابنُ الدَّغِنَةِ، وهو سيِّدُ القارَةِ، وهي قَبيلةٌ مَشهورةٌ مِن بَني الهُونِ، فقال: أينَ تُريدُ يا أبا بَكرٍ؟ فقال أبو بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه: أَخرَجَني قَومِي، أي: تَسبَّبوا في إخْراجي، فأنا أُريدُ أنْ أَسيرَ في الأرضِ، فَأَعبُدَ رَبِّي، فقالَ ابنُ الدَّغِنَةِ: إنَّ مِثلَكَ لا يَخرُجُ مِن تِلقاءِ نفْسِه، ولا يُخرِجُه أحدٌ؛ فإنَّك تَكِسبُ المَعدومَ، أي: تُعِينُ الفقيرَ وذا الحاجةِ، وتَصِلُ الرَّحِمَ مِن القَرابةِ، وتَحمِلُ الكَلَّ، والمُرادُ: كَفالةُ اليَتيمِ والعاجِزِ، وتَقْرِي الضَّيفَ، فتُهيِّئُ له طَعامَه ونُزُلَه، وتُعِينُ على نَوائبِ الحقِّ في حَوادثِه ومَصائبِه، وأنا مُجيرٌ لك ومُؤمِّنُك مِمَّنْ تَخافُهم، فارجِعْ فَاعبُدْ رَبَّكَ ببِلادِك، فَارتَحَلَ ابنُ الدَّغِنَةِ فَرجَعَ مع أبي بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه، فَذهَبَ ابنُ الدَّغِنَةِ إلى أشرافِ كفَّارِ قُريشٍ وَساداتِهم، ونَصَحَهم بعدَمِ إخراجِ أبي بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه مِن مكَّةَ؛ لِما فيه مِن الصِّفاتِ والأخلاقِ التي تَقدَّمَ ذِكرُها، فَأنْفَذَتْ قُريشٌ جِوارَ ابنِ الدَّغِنَةِ وأَمضَوْه ورَضُوا به، وجَعلُوا أبا بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه في أمانٍ مِن شَرِّهم، وقالوا لابنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أبا بَكرٍ فَلْيَعبُدْ رَبَّه في دارِه، ولْيُصلِّ ولْيَقرَأْ ما شاءَ ولا يُؤذِينا بذلك؛ إشارةً إلى ما ذُكِرَ مِنَ الصَّلاةِ والقراءةِ، ولا يَجهَرْ به؛ فإنَّا قد خَشِينا أنْ يَفتِنَ أبناءَنا ونِساءَنا، فيُخرِجَهم مِن دِينِهم إلى دِينِه، فأبْلَغَ ابنُ الدَّغِنَةِ بالَّذي شَرَطَه كَفَّارُ قُريشٍ لأبي بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه، فوافَقَ عليه، وَجَعَلَ يَعبُدُ ربَّه في دارِه ولا يَستعْلِنُ بالصَّلاةِ ولا القِراءةِ في غيرِ دارِه، ثُمَّ ظَهَرَ لأبي بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه رأْيٌ في أمْرِه بِخلافِ ما كان يَفعَلُه، فَبنى مَسجِدًا بِفِناءِ دارهِ، وما امتَدَّ مِن جَوانبِها، وهو أوَّلُ مَسجدٍ بُنِيَ في الإسلامِ، وظَهَرَ أبو بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه، فكان يُصلِّي فيه ويَقرَأُ القرآنَ، فَيَتقصَّفُ عليه نِساءُ المشرِكينَ وأبناؤُهم، أي: يَزدَحمون ويَنظُرون إليه، وكان أبو بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه رَجلًا كَثيرَ البُكاءِ، لا يَملِكُ إمساكَ عَينَيْه عَنِ البكاءِ مِن رِقَّةِ قَلبِه، وذلك حِين يَقرَأُ القرآنَ، فَأَخافَ ذلك أشرافَ قُريشٍ مِنَ المشركينَ؛ لِمَا يَعلَمونَ مِن رِقَّةِ قُلوبِ النِّساءِ والشَّبابِ أنْ يَميلوا إلى دِينِ الإسلامِ، فأرْسَلوا إلى ابنِ الدَّغِنَةِ، فَقدِمَ عليهم، فقالوا له: إنَّا كنَّا أمَّنَّا أبا بَكرٍ على أنْ يَعبُدَ ربَّه في دارِه، وإنَّه جاوَزَ ذلك، فَبنَى مَسجدًا بِفِناءِ دارِه وأَعلنَ الصَّلاةَ والقراءةَ، وقدْ خَشِينا أنْ يَفتِنَ أبناءَنا ونِساءَنا، فَائْتِه؛ فَإنْ أَحبَّ أنْ يَقتصِرَ على أنْ يَعبُدَ ربَّه في دارِه فَعَلَ، وإنِ امْتنَعَ إلَّا أنْ يُعلِنَ ذلك، فاطلُبْ منه أنْ يَرُدَّ إليك ذِمَّتكَ وعهْدَك له؛ فإنَّا كَرِهْنا أنْ نُخْفِرَك، أي: نَنقُضَ عَهْدَك وجِوارَك، ولسْنا مُقِرِّينَ لأبي بَكرٍ أنْ يُعلِنَ ما يَفعَلُه مِن العِبادةِ وقِراءةِ القرآنِ، ولا نَسكُتُ على الإنكارِ عليه؛ خَوفًا على نِسائِنا وأبنائِنا، فَأتى ابنُ الدَّغِنَةِ أبا بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه فقال له: قد عَلمْتَ الَّذي عَقَدْتُ لك عليه مع قُريشٍ، فإمَّا أنْ تَقتَصِرَ على الَّذي شَرَطوه، وإمَّا أنْ تُردَّ إلَيَّ ذِمَّتي وعَهْدي؛ فإنِّي لا أُحِبُّ أنْ تَسمَعَ العرَبُ أنِّي غُدِرَ بي في رَجلٍ عَقدْتُ له عَهْدًا، قال أبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رَضيَ اللهُ عنه: إِنِّي أَردُّ إليكَ جِوارَك وأرْضَى بجِوارِ اللهِ، أي: أكونُ في أمانِه وحِمايتِه، وفي هذا قوَّةُ يَقينِ الصِّدِّيقِ رَضيَ اللهُ عنه.

وقد كان رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَومئذٍ بِمكَّةَ، فأخْبَرَ المسلِمين أنَّه قدْ رَأى في مَنامِه -ورُؤيا الأنبياءِ حقٌّ ووَحْيٌ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ- مَكانَ هِجرتِهم، ويَقصِدُ بذلك المدينةَ، ومِن عَلاماتِها: أنَّ أرْضَها سَبْخةٌ، أي: تَعْلُوها المُلوحةُ ولا تَكادُ تُنبِتُ إلَّا بعضَ الشَّجرِ، ذاتَ نَخلٍ، بيْن لابَتَينِ: تَثْنيةُ لابَةٍ، وهي الحَرَّةُ، وهي أرضٌ بها حِجارةٌ سُودٌ، فهاجَرَ مَن هاجَرَ مِنَ المسلِمينَ قِبَلَ المدينةِ حِين ذكَرَ ذلك رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ورجَعَ إلى المدينةِ بعضُ مَن كان هاجَرَ إلى أرضِ الحَبشةِ، وتَجهَّزَ أبو بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه طالبًا الهِجرةَ مِن مكَّةَ، فقالَ له رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: على مَهَلِك مِن غَيرِ عَجلةٍ؛ فَإِنِّي أرْجو أنْ يَأذنَ اللهُ لي في الهجرةِ، فقالَ أبو بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه: هلْ تَرجو ذلك بأبي أنتَ؟ أي: مَفْدِيٌّ أنتَ بأبي، قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: نَعَمْ أرْجو ذلك، فَحَبَسَ أبو بكرٍ رَضيَ اللهُ عنه نفْسَه ولمْ يُهاجِرْ مع مَن هاجَرَ؛ لِيَكونَ صاحبًا لرَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في الهجرةِ، وقد كان ما راجاهُ أبو بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه، وكانت عندَه رَاحلتَانِ -ناقتانِ-، فعَلَفَهما وَرَقَ السَّمُرِ -وهو الورَقُ السَّاقطُ مِن الأشجارِ- أربعةَ أشهُرٍ؛ لتَتقوَّى على السَّفرِ؛ لأنَّه ورَقٌ يَحسُنُ به عَلْفُ الدَّوابِّ.

وفي الحديثِ: فَضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه، وأنَّه كان أشبَهَ النَّاسِ أَخلاقًا برَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وفيه: ما كان عليه العرَبُ المُشرِكون مِن حِفظِ العَهدِ والجِوارِ، وفيه: مَشروعيَّةُ الهِجرةِ مِن أرضِ الكُفْرِ إلى حيث يَأمَنُ المسلمُ على دِينِه.(مصدر الشرح: موسوعة الدرر السنية).

**وإنّ من غايات وأهداف هذه الرسالة في حقوق وواجبات النبي صلى الله تعالى وسلم، هو إظهار تلك الحقوق والواجبات اتجاهه صلى الله تعالى عليه وسلم، وإنّ من هذه الحقوق والواجبات:**

**أولًا:** الإيمان برسول الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعنى الإيمان بالرسول: هو تصديقه، وطاعته، واتباع شريعته، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه المشهور اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم. وتعدّ هذه المعاني هي الركائز الأساسية والأصيلة التي يقوم عليها الإيمان بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم. «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، ص:92».

ولقد أمر الله جل وعلا بالإيمان بنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم في أكثر من موضع من كتابه سبحانه، فقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِیۤ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِیرࣱ﴾ [التغابن:٨]، أي: فآمنوا - أيها الناس - بالله، وآمنوا برسوله، وآمنوا بالقرآن الذي أنزلناه على رسولنا، والله بما تعملون خبير، فلا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

وقال الله تعالى: **﴿**یَـٰۤأَیُّهَا ٱلَّذِینَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ یُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَیۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَیَجۡعَل لَّكُمۡ نُورࣰا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَیَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورࣱ رَّحِیمࣱ﴾ [الحديد:٢٨]، أي: يا أيها الذين آمنوا بالله جل وعلا وعملوا بما شرعه لهم، اتقوا الله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وآمنوا برسوله صلى الله تعالى وسلم، يعطكم نصيبَيْن من الثواب والأجر على إيمانكم بمحمد ﷺ، وإيمانكم بالرسل السابقين، ويجعل لكم نورًا تهتدون به في حياتكم الدنيا، وتستنيرون به على الصراط يوم القيامة، ويغفر لكم ذنوبكم فيسترها ولا يؤاخذكم بها، والله سبحانه غفورٌ لعباده رحيم بهم.

ومن المعلوم أنّ الإيمان بالنبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ركن من أركان الإيمان، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «كانَ النبيُّ ﷺ بارِزًا يَوْمًا لِلنّاسِ، فأتاهُ جِبْرِيلُ فَقالَ: ما الإيمانُ قالَ: الإيمانُ أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، وبِلِقائِهِ، ورُسُلِهِ وتُؤْمِنَ بالبَعْثِ...» «أخرجه البخاري (٥٠)، واللفظ له، ومسلم (٩)».

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلُ النّاسَ حتّى يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلّا اللَّهُ، ويُؤْمِنُوا بي، وبِما جِئْتُ به، فإذا فَعَلُوا ذلكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ، وأَمْوالَهُمْ إلّا بحَقِّها، وحِسابُهُمْ على اللَّهِ» « أخرجه مسلم/٢١».

**ثانيًا:** الاقتداء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، واتباع هديه، ولقد أمر الله تبارك وتعالى بذلك في كتابه سبحانه وتعالى، فقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِی یُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَیَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورࣱ رَّحِیمࣱ﴾ [آل عمران:٣١]، أي: قل -أيها الرسول-: إن كنتم تحبون الله حقًّا فاتبعوني وآمنوا بي ظاهرًا وباطنًا، يحببكم الله، ويمْحُ ذنوبكم، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم. وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله -تعالى- وليس متبعًا لنبيه محمد ﷺ حق الاتباع، مطيعًا له في أمره ونهيه، فإنه كاذب في دعواه حتى يتابع الرسول ﷺ حق الاتباع.

وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ یَـٰۤأَیُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّی رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَیۡكُمۡ جَمِیعًا ٱلَّذِی لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَ ٰ⁠تِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَاۤ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ یُحۡیِۦ وَیُمِیتُۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِیِّ ٱلۡأُمِّیِّ ٱلَّذِی یُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ ﴾ [الأعراف:١٥٨]، أي: قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعًا، عربكم وعجمكم، الذي له وحده ملك السماوات، وله ملك الأرض، لا معبود بحق غيره سبحانه، يُحْيِي الموتى، ويميت الأحياء، فآمنوا - أيها الناس - بالله، وآمنوا بمحمد ﷺ رسوله النبي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وإنما جاء بوحي يوحيه إليه ربه، الذي يؤمن بالله، ويؤمن بما أُنزِل إليه وما أُنزِل على النبيين من قبله دون تفريق، واتَّبِعوه فيما جاء به من ربه، رجاء أن تهتدوا إلى ما فيه مصلحتكم في الدنيا والآخرة.

وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِی رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةࣱ لِّمَن كَانَ یَرۡجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلۡیَوۡمَ ٱلۡـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِیرࣰا﴾ [الأحزاب:٢١]، أي: لقد كان لكم -أيها المؤمنون- في أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسَّون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها مَن كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثرَ مِن ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال.

وقال السعدي: « واستدلّ الأصوليون في هذه الآية، على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ، وأن الأصل، أنّ أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به. فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة.

فالأسوة الحسنة، في الرسول ﷺ، فإن المتأسِّي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة اللّه تعالى، وهو الصراط المستقيم، وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسِّي بهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾، وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، من كان يرجو اللّه تعالى، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف اللّه جل وعلا، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ».

ولقد حذّر النبي ﷺ من الإعراض عن سنته ونهجه وطريقه، ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «ما بالُ أقوامٍ قالوا كذا وكذا؟ لكني أُصَلِّي وأنامُ، وأصومُ وأُفْطِرُ، وأتزوَّجُ النساءَ، فمن رغِبَ عنْ سُنَّتِي فليسَ مِنِّي» «أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)».

ويدلّ هذا الحديث على أنّ من أعرض عن نهج وطريق النبي محمد صلى الله تعالى وسلم فإنَّه بعيدٌ كلَّ البُعدِ عَن مُتابعةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. فإن كان مَيلُه عن سُنَّتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن كُرهٍ لها أو عَدَمِ اعتقادٍ بها، كان كافرًا خارجًا عن الإسلامِ. وإن كان مَيلُه عنها لغيرِ ذلك، فإنَّه مخالِفٌ لطَريقتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم السَّهلةِ السَّمحةِ التي لا تَشَدُّدَ فيها ولا عَنَتَ.

ومن نماذج القدوة العملية، ما فعله الصحابة رضي الله تعالى عنهم، من طرح ونبذ لخواتيمهم اقتداءً به، ففي الحديث عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: «أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ اصْطَنَعَ خاتَمًا مِن ذَهَبٍ وكانَ يَلْبَسُهُ، فَيَجْعَلُ فَصَّهُ في باطِنِ كَفِّهِ، فَصَنَعَ النّاسُ خَواتِيمَ، ثُمَّ إنَّه جَلَسَ على المِنْبَرِ فَنَزَعَهُ، فقالَ: إنِّي كُنْتُ ألْبَسُ هذا الخاتِمَ، وأَجْعَلُ فَصَّهُ مِن داخِلٍ فَرَمى به ثُمَّ قالَ: واللَّهِ لا ألْبَسُهُ أبَدًا فَنَبَذَ النّاسُ خَواتِيمَهُمْ» «أخرجه البخاري/٦٦٥١».

وفي نموذج آخر في الاقتداء عندما كان رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يصلي بأصحابه إذ خلع نعلَيه فوضعهما عن يسارِه فلما رأى القومُ ذلك ألقَوا نعالَهم، ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: «بينما رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يصلي بأصحابِه إذ خلع نعلَيه فوضعهما عن يسارِه فلما رأى القومُ ذلك ألقَوا نعالَهم فلما قضى رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قال: ما حملكم على إلقائِكم نعالَكم؟ قالوا: رأيناك ألقيتَ نعلَيك فألقينا نعالَنا. فقال رسولُ الله صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: إنَّ جبريلَ أتاني فأخبرَني أنَّ فيها قذَرًا» «أخرجه أبو داود (٦٥٠) واللفظ له، وأحمد (١١١٦٩)، صحيح أبي داود (٦٥٠)، والنووي في المجموع ٣‏/١٣٢».

**ثالثًا:** محبة النبي ﷺ، فمحبته دليل وبرهان ساطع على كلّ من ادّعى محبة الله تعالى وليس متبعًا لنبيه محمد ﷺ حقّ الاتباع، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِی یُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَیَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورࣱ رَّحِیمࣱ﴾ [آل عمران:٣١]، أي: قل أيها الرسول: إن كنتم تحبون الله حقًّا فاتبعوني وآمنوا بي ظاهرًا وباطنًا، يحببكم الله، ويمْحُ ذنوبكم، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم. وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله -تعالى- وليس متبعًا لنبيه محمد ﷺ حق الاتباع، مطيعًا له في أمره ونهيه، فإنه كاذب في دعواه حتى يتابع الرسول ﷺ حق الاتباع.

وقال السعدي: «وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال ﴿قل إن كنتم تحبون الله﴾ أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لابد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله ﷺ في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص».

ويجب عليك أيها العبد أن تقدم محبته صلى الله تعالى عليه وسلم على محبة النفس والأهل والولد والناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَاۤؤُكُمۡ وَأَبۡنَاۤؤُكُمۡ وَإِخۡوَ ٰ⁠نُكُمۡ وَأَزۡوَ ٰ⁠جُكُمۡ وَعَشِیرَتُكُمۡ وَأَمۡوَ ٰ⁠لٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةࣱ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَاۤ أَحَبَّ إِلَیۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادࣲ فِی سَبِیلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ یَأۡتِیَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا یَهۡدِی ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَـٰسِقِینَ﴾ [التوبة:٢٤]، أي: قل أيها الرسول: إن كان آباؤكم أيها المؤمنون وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وأقرباؤكم، وأموالكم التي اكتسبتموها، وتجارتكم التي تحبون رواجها، وتخافون كسادها، وبيوتكم التي ترضون المقام فيها - إن كان كل أولئك أحب إليكم من الله ورسوله، ومن الجهاد في سبيله فانتظروا ما ينزله الله بكم من العقاب والنكال، والله لا يوفق الخارجين عن طاعته للعمل بما يرضيه.

وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: « لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِن والِدِهِ ووَلَدِهِ والنّاسِ أجْمَعِينَ» «أخرجه البخاري/١٥».

وتُعدّ محبَّةُ النبيِّ ﷺ مِن أُصولِ الإيمانِ، وهي مَقرونةٌ بمَحبَّةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وتَوعَّد اللهُ مَن قدَّم عليها شيئًا مِن الأمورِ المحبوبةِ في الطَّبْعِ؛ مِن الأقاربِ والأموالِ، والأوطان وغيرِ ذلك، فقال تعالى: {قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} [التوبة: 24]. ولا يكونُ المؤمنُ مُؤمنًا كاملًا حتّى يُقدِّمَ مَحبَّةَ الرَّسولِ ﷺ على مَحبَّةِ جَميعِ الخَلْقِ، ومَحبَّةُ الرَّسولِ ﷺ تابعةٌ لمحبَّةِ مُرسِلِه سُبحانه وتعالى. والمحبَّةُ الصَّحيحةُ تَقتضي المتابَعةَ والموافَقةَ في حبِّ المَحبوباتِ وبُغضِ المكروهاتِ؛ فالمحبَّةُ هي المُوافَقةُ في جميعِ الأحوالِ، فإذا كان هذا الحبُّ صادقًا فإنَّه لا بدَّ أنْ يَحمِلَ صاحبَه على مُتابَعةِ النبيِّ ﷺ، والعَملِ بسُنَّتِه؛ فعَلامةُ مَحبَّةِ الرَّسولِ ﷺ: أنَّه عندَ تعارُضِ طاعةِ الرَّسولِ ﷺ في أوامرِه، مع داعٍ آخَرَ يَدْعو إلى غَيرِها مِن هذه الأشياءِ المحبوبةِ، فإنْ قدَّم المرْءُ طاعةَ الرَّسولِ ﷺ وامتثالَ أوامرِه على ذلك الداعي؛ كان ذلك دَليلًا على صِحَّةِ مَحبَّتِه للرَّسولِ ﷺ، وإنْ قدَّم على طاعتِه وامتثالِ أوامرِه شيئًا مِن هذه الأشياء المحبوبةِ طَبْعًا، دلَّ ذلك على عدَمِ إتيانِه بالإيمانِ التّامِّ الواجبِ عليه. ومِن مَحبَّتِه ﷺ نَصرُ سُنَّتِه، والذَّبُّ عن شَريعتِه، وتَمنِّي حُضورِ حَياتِه فيَبذُلَ مالَه ونفْسَه دونَه. ولا تصِحُّ هذه المحبَّةُ إلّا بتَحقيقِ إعلاءِ قدْرِ النبيِّ ﷺ ومَنزلتِه على كلِّ والدٍ وولَدٍ، ومُحسِنٍ ومُفَضَّلٍ. وهذا الحديثُ مِن جَوامعِ الكَلِمِ؛ لأنَّ هذه الألْفاظَ اليَسيرةَ جمَعَتْ مَعانيَ كَثيرةً؛ لأنَّ أقسامَ المحبَّةِ ثلاثةٌ: مَحبَّةُ إجلالٍ وعَظَمةٍ، كمَحبَّةِ الوالدِ، ومَحبَّةُ شَفقةٍ ورَحمةٍ، كمَحبَّةِ الولَدِ، ومَحبَّةُ استحسانٍ ومُشاكَلةٍ، كمَحبَّةِ سائرِ الناسِ، فحَصَرَ أصنافَ المحبَّةِ.( نقلًا عن موسوعة الدرر السنية).

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن من ثواب محبته الاجتماع معه في الجنة: وذلك عندما سأله رجل عن الساعة فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَا أَعْدَدْتَ لَهَا] قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: [فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ]. "رواه البخاري (6171)، ومسلم (2639)".

ومما يجب أن يُعلم أنه لا يكتملُ إيمانُ العبد حتّى يكون النَّبيُّ ﷺ أحبَّ إليه حتى من نفسه، ففي الحديث عن عبدالله بن هشام رضي الله تعالى عنه قال: «كُنّا مع النَّبيِّ ﷺ وهو آخِذٌ بيَدِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ، فَقالَ له عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شَيْءٍ إلّا مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: لا، والَّذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ، فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: الآنَ يا عُمَرُ» « أخرجه البخاري/٦٦٣٢».

ولقد أرشد النبيُّ ﷺ إلى ثِلاثِ خِصالٍ مِن أعْلى خِصالِ الإيمانِ؛ مَن كمَّلَها فقدْ وجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ؛ فالإيمانُ له حَلاوةٌ وطَعمٌ يُذاقُ بالقُلوبِ، كما تُذاقُ حَلاوةُ الطَّعامِ والشَّرابِ بالفَمِ، ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممّا سِواهُما، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النّارِ» «أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)».

ولقد قال الشاعر:

[تعصي الإله وأنت تُظْهر حُبَّهُ \*\*\*\* هذا لعمري في القياسِ بديعُ

لو كان حُبَّكَ صادقًا لأطعته \*\*\*\* إن المُحبَّ لمن يُحِبُّ مُطيعُ].

ومما يجب أن يُعلم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر عن أناس يأتون بعده يود أحدهم لو رآه بأهله وماله، وهذا يَدُلُّ على قُوَّةِ الإيمانِ بالنَّبيِّ ﷺ في قُلوبِهم. فهم مِن أَشدِّ الأمة حبًا له، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: « مِنْ أشَدِّ أُمَّتي لي حُبًّا، ناسٌ يَكونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أحَدُهُمْ لو رَآنِي بأَهْلِهِ ومالِهِ» « أخرجه مسلم (٢٨٣٢) ».

 وكان ثابت البناني إذا لقي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقبل عليه وقبل يديه، ويقول: "هذه يد مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وقال جبير بن نفير رحمه الله تعالى: "جلسنا إلى المقدادِ بنِ الأسودِ يومًا فمرَّ به رجلٌ فقال طُوبَى لهاتين العينيْنِ اللتين رَأَتَا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم واللهِ لوددنا أنَّا رأيْنَا ما رأيتَ وشهِدْنا ما شهدتَ فاستُغضبَ فجعلتُ أعجبُ ما قال إلا خيرًا ثم أقبلَ عليه فقال ما يحملُ الرجلُ على أن يتمنى محضرًا غيَّبَه اللهُ عنه لا يدري لو شهدَه كيف يكونُ فيه واللهِ لقد حضر رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أقوامٌ كبَّهمُ اللهُ على مناخرِهم في جهنمَ لم يُجيبوهُ ولم يُصدِّقوهُ أولا تحمدون اللهَ عزَّ وجلَّ إذ أخرجَكُم لا تعرفون إلا ربَّكم فتُصدِّقونَ بما جاء به نبيَّكم صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قد كُفِيتم البلاءَ بغيرِكم واللهِ لقد بُعِثَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم على أشدِّ حالٍ بُعِثَ عليها نبيٌّ قط في فترةٍ وجاهليةٍ ما يرون أنَّ دِينًا أفضلَ من عبادةِ الأوثانِ فجاء بفرقانٍ فرَّقَ به بين الحقِّ والباطلِ وفرَّقَ به بين الوالدِ وولدِه حتى إن كان الرجلُ ليرى والدَه أو ولدَه أو أخاه كافرًا وقد فتح اللهُ قُفْلَ قلبِه بالإيمانِ ويعلمُ أنَّهُ إن هلك دخل النارَ فلا تقرُّ عينُه وهو يعلمُ أنَّ حبيبَه في النارِ وأنها للتي قال اللهُ عزَّ وجلَّ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ " "صحيح الأدب المفرد، الألباني، (64)".

**رابعًا:** التخلق بأخلاق النبيّ محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، وآدابه الراقية النبيلة، التي تحمل كلّ معاني الرحمة والعفو والكرم والجود والوفاء، والشجاعة والقوة والسماحة والخلق العظيم، مما جعل الناس يؤمنون بدعوته وبما جاء به من ربّه جلّ وعلا، ويفدونه بأنفسهم وأموالهم وأرواحهم، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةࣲ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِیظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِی ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ یُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِینَ﴾ [آل عمران:159]، أي: فبسبب رحمة من الله تعالى عظيمة كان خُلُقك - أيها النبي - سهلًا مع أصحابك، ولو كنت شديدًا في قولك وفعلك، قاسي القلب لتفرقوا عنك، فتجاوز عنهم تقصيرهم في حقك، واطلب لهم المغفرة، واطلب رأيهم فيما يحتاج إلى مشورة، فإذا عقدت عزمك على أمر بعد المشاورة فامض فيه، وتوكل على الله تبارك وتعالى، إن الله يحب المتوكلين عليه فيوفقهم ويؤيدهم.

ولقد جعل نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حسن الخلق من تمام وكمال إيمان الإنسان، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «أكْملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهُم خلقًا. وخيارُكُم خيارُكُم لنسائِهِم» «أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٤٧٢) واللفظ له، صحيح الترمذي/ ١١٦٢».

وإنّ هذه الأخلاق التي ما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم إلا ليتممها ويكملها، ويدعو الناس للتخلق بها؛ ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: « إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ وفي روايةٍ (صالحَ) الأخلاقِ» « حاشية بلوغ المرام لابن باز، ٨٠٩، إسناده جيد، والسلسلة الصحيحة، الألباني،٤٥».

لذلك كان من أوجب الواجبات علينا أن نتخلق بأخلاقه؛ حتى نكون أهلًا لنَيْلِ شفاعته، والقرب من مجلسه يوم القيامة؛ ففي الحديث عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما، أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: « إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا، وإنَّ مِن أبغضِكُم إليَّ وأبعدِكُم منِّي يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ والمتشدِّقونَ والمتفَيهِقونَ، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، قد علِمنا الثَّرثارينَ والمتشدِّقينَ فما المتفَيهقونَ؟ قالَ: المتَكَبِّرونَ» «صحيح الترمذي، الألباني/ ٢٠١٨».

قال ابن القيم الجوزية في كتابه زاد المعاد: «ما من صفة حميدة وجدت في نبي من الأنبياء إلا كانت في النبي صلى الله عليه وسلم في أعظم مقاماتها». «زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية،ج1».

ولقد تَجلَّت أخلاق النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ورحمته، عندما أخبَرَ مَلَكَ الجبالِ أنَّه لا يُريدُ ذلك العذابَ لقَومِه وإنِ استحَقُّوا لكُفْرِهم، بلْ إنَّه يَرْجو أنْ يُخرِجَ اللهُ مِن أصلابِهم مَن يَعبُدُ اللهَ وحده سبحانه وتعالى، وحصل هذا عندما تَوجَّهَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى ثَلاثةِ زُعماءَ مِن ثَقيفٍ، وهمْ سادَتُهم؛ وهم: عبْدُ يَالِيلَ، وحَبيبٌ، ومَسعودٌ بَنو عمْرٍو، فلم يَستجِبْ له أحدٌ إلى ما طَلَبَه حينئذٍ مِن الدُّخولِ في الإسلامِ أو إعطائِه العهْدَ والأمانَ، بلْ وَجَدَ ما لمْ يَتصوَّرْه مِن الجُحودِ، والإنكارِ، والاستهزاءِ، والصَّدِّ عن سَبيلِ اللهِ، وَزادوا على ذلك أنَّهم آذَوه وسَلَّطوا عليه صِغارَهم وسُفهاءَهم، فرَمَوه بالحجارةِ حتَّى سالَ الدَّمُ مِن قَدَمَيه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فخرَجَ مِن الطَّائفِ عائدًا إلى مكَّةَ.

ففي الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: « يا رَسولَ اللهِ، هلْ أَتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أَشَدَّ مِن يَومِ أُحُدٍ؟ فَقالَ: لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ وَكانَ أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي على ابْنِ عبدِ يالِيلَ بنِ عبدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إلى ما أَرَدْتُ، فانْطَلَقْتُ وَأَنا مَهْمُومٌ على وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلّا بقَرْنِ الثَّعالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذا أَنا بسَحابَةٍ قدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذا فِيها جِبْرِيلُ، فَنادانِي، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَما رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، قالَ: فَنادانِي مَلَكُ الجِبالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ اللَّهَ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنا مَلَكُ الجِبالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بأَمْرِكَ، فَما شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأخْشَبَيْنِ، فَقالَ له رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أَصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا» « أخرجه مسلم/١٧٩٥».

ولقد أورد الإمام الترمذي في كتابه الشمائل المحمدية كثيرًا من الأحاديث المتعلقة بصفات النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، ومنها ما أورده في الباب (48)، ص، 166، باب ما جاء في خلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وذكر عدة أحاديث، ومنها حديث:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها: « قُلتُ لعائِشةَ: كيف كان خُلُقُ رسولِ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم في أهْلِه؟ قالَتْ: كان أحسَنَ الناسِ خُلُقًا، لم يَكنْ فاحِشًا، ولا مُتَفَحِّشًا، ولا سَخّابًا بالأسواقِ، ولا يُجزِئُ بالسَّيِّئةِ مِثلَها، ولكِنْ يَعفو ويَصفَحُ» « أخرجه الترمذي (٢٠١٦)، وأحمد (٢٥٩٩٠) واللفظ له، شعيب الأرنؤوط، تخريج المسند (٢٥٩٩٠)، إسناده صحيح».

وذكر كذلك في الباب (49)، ص173، باب ما جاء في حياء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وذكر عدة أحاديث، ومنها، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: « كانَ النَّبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم أشَدَّ حَياءً مِنَ العَذْراءِ في خِدْرِها. [وفي رواية زيادة]: وإذا كَرِهَ شيئًا عُرِفَ في وجْهِهِ » «صحيح البخاري/ ٣٥٦٢».

«الشمائل المحمدية، للإمام الترمذي (209 هـ - 279 هـ) صاحب كتاب سنن الترمذي».

**خامسًا:** طاعة النبي محمد ﷺ، في كل ما أمر، والحذر من معصيته ومخالفة أمره، قال الله تعالى: ﴿وَمَن یُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰۤىِٕكَ مَعَ ٱلَّذِینَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَیۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِیِّـۧنَ وَٱلصِّدِّیقِینَ وَٱلشُّهَدَاۤءِ وَٱلصَّـٰلِحِینَۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰۤىِٕكَ رَفِیقࣰا﴾ [النساء:٦٩]، أي: ومن يستجب لأوامر الله تعالى وهدي رسوله محمد ﷺ فأولئك الذين عَظُم شأنهم وقدرهم، فكانوا في صحبة مَن أنعم الله تعالى عليهم بالجنة، من الأنبياء والصديقين الذين كمُل تصديقهم بما جاءت به الرسل، اعتقادًا وقولًا وعملًا، والشهداء في سبيل الله وصالح المؤمنين، وحَسُنَ هؤلاء رفقاء في الجنة.

وقال الله تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن یُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ یُدۡخِلۡهُ جَنَّـٰتࣲ تَجۡرِی مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِینَ فِیهَاۚ وَذَ ٰ⁠لِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِیمُ﴾ [النساء:١٣]، أي: ومَن يطع الله ورسوله فيما شرع لعباده من هذه الأحكام وغيرها، يدخله جنات كثيرة الأشجار والقصور، تجري من تحتها الأنهار بمياهها العذبة، وهم باقون في هذا النعيم، لا يخرجون منه، وذلك الثواب هو الفلاح العظيم.

ولقد رتّب ربنا جل وعلا على معصيته دخول النار، والعذاب الشديد، عياذًا بالله تعالى، قال الله تعالى:﴿وَمَن یَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَیَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ یُدۡخِلۡهُ نَارًا خَـٰلِدࣰا فِیهَا وَلَهُۥ عَذَابࣱ مُّهِینࣱ﴾ [النساء:١٤].ومَن يَعْصِ الله ورسوله، بإنكاره لأحكام الله، وتجاوزه ما شرعه الله لعباده بتغييرها، أو تعطيل العمل بها، يدخله نارًا ماكثًا فيها، وله عذاب يُخزيه ويُهينه.

ولقد حذّر ربنا جل وعلا من مخالفة أمر رسول الله ﷺ، وإن من آثار هذه المخالفة، المحن والبلاء والعذاب الموجع، عياذًا بالله تعالى، قال الله تعالى:﴿ فَلۡیَحۡذَرِ ٱلَّذِینَ یُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦۤ أَن تُصِیبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ یُصِیبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِیمٌ﴾ [النور:٦٣]، أي: فليحذر الذين يخالفون أمر رسول الله ﷺ أن يصيبهم الله بمحنة وبلاء، أو يصيبهم بعذاب موجع لا صبر لهم عليه.

وقال الله تعالى: ﴿یَـٰۤأَیُّهَا ٱلَّذِینَ ءَامَنُوۤا۟ أَطِیعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡا۟ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠]، يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تتركوا طاعة الله وطاعة رسوله، وأنتم تسمعون ما يتلى عليكم في القرآن من الحجج والبراهين.

ومن المعلوم أنه لا يجوز القضاء بأمر دون أمر الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ من شرائع دينكم، قال الله تعالى:﴿یَـٰۤأَیُّهَا ٱلَّذِینَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَیۡنَ یَدَیِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمࣱ﴾ [الحجرات:١]، أي: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تقضوا أمرًا دون أمر الله ورسوله من شرائع دينكم فتبتدعوا، وخافوا الله في قولكم وفعلكم أن يخالَف أمر الله ورسوله، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم. وفي هذا تحذير للمؤمنين أن يبتدعوا في الدين، أو يُشرِّعوا ما لم يأذن به الله تعالى.

وقد بيّن النبي ﷺ أنّ ثمرة طاعته دخول الجنة، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: « كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلّا مَن أَبى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبى؟ قالَ: مَن أَطاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصانِي فقَدْ أَبى» «أخرجه البخاري (٧٢٨٠)».

ومن المعلوم أن طاعة النبي ﷺ هي من طاعة الله جل وعلا، ومعصيته من معصيته، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «من أطاعني فقد أطاعَ اللَّهَ ومن عصاني فقد عصى اللَّهَ» «أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥)».

ومن النماذج العلمية لطاعة الصحابة رضي الله تعالى عنهم للنبي ﷺ، عندما أكفأوا القدور التي كانت تطبخ بها الحمر الأهلية عندما نزل تحريمها في غزوة خيبر، ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: «لَمّا فَتَحَ رَسولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَصَبْنا حُمُرًا خارِجًا مِنَ القَرْيَةِ، فَطَبَخْنا منها، فَنادى مُنادِي رَسولِ اللهِ ﷺ: أَلا إنَّ اللَّهَ وَرَسوله يَنْهَيانِكُمْ عَنْها، فإنَّها رِجْسٌ مِن عَمَلِ الشَّيْطانِ، فَأُكْفِئَتِ القُدُورُ بما فِيها، وإنَّها لَتَفُورُ بما فِيها» «أخرجه البخاري (٢٩٩١)، ومسلم (١٩٤٠)».

ومن النماذج العلمية كذلك لطاعة الصحابة رضي الله تعالى عنهم للنبي ﷺ، عندما رأى النبي ﷺ خاتمًا من ذهب في يد رجل فطرحه، فعندها رفض أخذه طاعة لرسول الله ﷺ، ففي الحديث عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما «أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ رَأى خاتَمًا مِن ذَهَبٍ في يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقالَ: يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إلى جَمْرَةٍ مِن نارٍ فَيَجْعَلُها في يَدِهِ، فقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ ما ذَهَبَ رَسولُ اللهِ ﷺ: خُذْ خاتِمَكَ انْتَفِعْ به، قالَ: لا واللَّهِ، لا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ» « أخرجه مسلم (٢٠٩٠)».

**سادسًا:** توقير النبي ﷺ واحترامه، وتعظيم شأنه، وقد أمر الله تبارك وتعالى بذلك في كتابه الكريم، فقال تعالى:﴿إِنَّاۤ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدࣰا وَمُبَشِّرࣰا وَنَذِیرࣰا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةࣰ وَأَصِیلًا ۝٩﴾ [الفتح: ٨-٩]، أي: إنا أرسلناك -أيها الرسول- شاهدًا على أمتك بالبلاغ، مبينًا لهم ما أرسلناك به إليهم، ومبشرًا لمن أطاعك بالجنة، ونذيرًا لمن عصاك بالعقاب العاجل والآجل؛ لتؤمنوا بالله ورسوله، وتنصروا الله بنصر دينه، وتعظموا الله، وتسبحوه أول النهار وآخره.

ولقد بيّن الله جل وعلا لأهل الإيمان طريقة نداء ومخاطبة الرسول ﷺ، حيث أنكم إذا ناديتموه فلا تنادوه باسمه مثل: يا محمد، أو باسم أبيه مثل: يا ابن عبد الله، كما يفعل بعضكم مع بعض، فقال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُوا۟ دُعَاۤءَ ٱلرَّسُولِ بَیۡنَكُمۡ كَدُعَاۤءِ بَعۡضِكُم بَعۡضࣰاۚ قَدۡ یَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِینَ یَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذࣰاۚ فَلۡیَحۡذَرِ ٱلَّذِینَ یُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦۤ أَن تُصِیبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ یُصِیبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِیمٌ﴾ [النور: ٦٣]، أي: شَرِّفُوا - أيها المؤمنون - رسول الله، فإذا ناديتموه فلا تنادوه باسمه مثل: يا محمد، أو باسم أبيه مثل: يا ابن عبد الله، كما يفعل بعضكم مع بعض، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبيّ الله، وإذا دعاكم لأمر عام فلا تجعلوا دعوته كدعوة بعضكم بعضًا في الأمور التافهة عادة، بل سارعوا إلى الاستجابة لها، قد يعلم الله الذين ينصرفون منكم خفية دون إذن، فليحذر الذين يخالفون أمر رسول الله ﷺ أن يصيبهم الله بمحنة وبلاء، أو يصيبهم بعذاب موجع لا صبر لهم عليه.

 ومن النماذج على ما ذكر، أنه في صلح الحديبية لما قدِم عروة بن مسعود مفاوضًا للنبي صلى الله عليه وسلم من طرف قريش وحلفائها، قال واصفًا ما رآه من حب الصحابة وتعظيمهم للنبي صلى الله عليه وسلم: فعن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: «...ثُمَّ إنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أصْحَابَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بعَيْنَيْهِ، قالَ: فَوَاللَّهِ ما تَنَخَّمَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نُخَامَةً إلَّا وقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهمْ، فَدَلَكَ بهَا وجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإذَا أمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أمْرَهُ، وإذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ علَى وضُوئِهِ، وإذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا له، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إلى أصْحَابِهِ، فَقالَ: أيْ قَوْمِ، واللَّهِ لقَدْ وفَدْتُ علَى المُلُوكِ، ووَفَدْتُ علَى قَيْصَرَ، وكِسْرَى، والنَّجَاشِيِّ، واللَّهِ إنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أصْحَابُهُ ما يُعَظِّمُ أصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُحَمَّدًا، واللَّهِ إنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلَّا وقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهمْ، فَدَلَكَ بهَا وجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإذَا أمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أمْرَهُ، وإذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ علَى وضُوئِهِ، وإذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا له، وإنَّه قدْ عَرَضَ علَيْكُم خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا...» « أخرجه البخاري/٢٧٣١».

**سابعًا:** إنزاله مكانته صلّى الله عليه وسلّم بلا غلو ولا تقصير، فهو عبد لله ورسوله، وأفضل الأنبياء والمرسلين، وسيد الأولين والآخرين، وصاحب المقام المحمود، والحوض المورود، ولكنه مع ذلك فهو مخلوق وبشر لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّاۤ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِی خَزَاۤىِٕنُ ٱللَّهِ وَلَاۤ أَعۡلَمُ ٱلۡغَیۡبَ وَلَاۤ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّی مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا یُوحَىٰۤ إِلَیَّۚ قُلۡ هَلۡ یَسۡتَوِی ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِیرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠]، أي: قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إني لا أدَّعي أني أملك خزائن السموات والأرض، فأتصرف فيها، ولا أدَّعي أني أعلم الغيب، ولا أدَّعي أني مَلَك، وإنما أنا رسول من عند الله، أتبع ما يوحى إليَّ، وأبلِّغ وحيه إلى الناس، قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: هل يستوي الكافر الذي عَمِي عن آيات الله تعالى فلم يؤمن بها، والمؤمنُ الذي أبصر آيات الله فآمن بها؟ أفلا تتفكرون في آيات الله؛ لتبصروا الحق فتؤمنوا به؟.

وقال الله تعالى:﴿قُلۡ إِنِّی لَاۤ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرࣰّا وَلَا رَشَدࣰا ۝٢١ قُلۡ إِنِّی لَن یُجِیرَنِی مِنَ ٱللَّهِ أَحَدࣱ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَـٰغࣰا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦۚ وَمَن یَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِینَ فِیهَاۤ أَبَدًا ۝٢٣﴾ [الجن:٢١-٢٣]، أي: قل أيها الرسول لهم: إني لا أقدر أن أدفع عنكم ضرًّا، ولا أجلب لكم نفعًا، قل: إني لن ينقذني من عذاب الله أحد إن عصيته، ولن أجد مِن دونه ملجأ أفرُّ إليه مِن عذابه، لكن أملك أن أبلغكم عن الله ما أمرني بتبليغه لكم، ورسالتَه التي أرسلني بها إليكم. ومَن يعص الله ورسوله، ويُعرض عن دين الله، فإن جزاءه نار جهنم لا يخرج منها أبدًا.

وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّاۤ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِی نَفۡعࣰا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاۤءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَیۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَیۡرِ وَمَا مَسَّنِیَ ٱلسُّوۤءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِیرࣱ وَبَشِیرࣱ لِّقَوۡمࣲ یُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، أي: قل يا محمد: لا أستطيع جلب خيرٍ لنفسي، ولا كشف سوء عنها، إلا ما شاء الله، وإنما ذلك إلى الله، ولا أعلم إلا ما علَّمني الله تعالى، فلا أعلم الغيب، ولو كنت أعلم الغيب لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تجلب لي المصالح، وتدفع عني المفاسد، لِعِلمي بالأشياء قبل كونها وعلمي بما تؤول إليه، لست إلا رسولًا من عند الله، أُخَوِّفُ من عقابه الأليم، وأُبَشِّرُ بثوابه الكريم قومًا يؤمنون بأني رسول منه سبحانه وتعالى، ويُصَدِّقُونَ بما جئت به.

ثامنًا: وجوب التحاكم إليه، والتسليم لحكمه صلّى الله عليه وسلّم: قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا یُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ یُحَكِّمُوكَ فِیمَا شَجَرَ بَیۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا یَجِدُوا۟ فِیۤ أَنفُسِهِمۡ حَرَجࣰا مِّمَّا قَضَیۡتَ وَیُسَلِّمُوا۟ تَسۡلِیمࣰا﴾ [النساء:٦٥]، أي: أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلوك حكمًا فيما وقع بينهم من نزاع في حياتك، ويتحاكموا إلى سنتك بعد مماتك، ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقًا مما انتهى إليه حكمك، وينقادوا مع ذلك انقيادًا تامًّا، فالحكم بما جاء به رسول الله ﷺ من الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة من صميم الإيمان مع الرضا والتسليم.

ولقد أوجب ربنا جل وعلا عند الاختلاف في شيء، الرجوع للحكم فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد ﷺ، لقوله تعالى:﴿یَـٰۤأَیُّهَا ٱلَّذِینَ ءَامَنُوۤا۟ أَطِیعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِیعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِی ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِی شَیۡءࣲ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡیَوۡمِ ٱلۡـَٔاخِرِۚ ذَ ٰ⁠لِكَ خَیۡرࣱ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِیلًا﴾ [النساء: ٥٩]، أي: يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، استجيبوا لأوامر الله تعالى ولا تعصوه، واستجيبوا للرسول ﷺ فيما جاء به من الحق، وأطيعوا ولاة أمركم في غير معصية الله، فإن اختلفتم في شيء بينكم، فأرجعوا الحكم فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد ﷺ، إن كنتم تؤمنون حق الإيمان بالله تعالى وبيوم الحساب. ذلك الردُّ إلى الكتاب والسنة خير لكم من التنازع والقول بالرأي، وأحسن عاقبة ومآلًا.

**تاسعًا:** تولّي أصحابه وآل بيته صلى الله عليه وسلم، فإنّ كل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم في استحقاق المغفرة والأجر العظيم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رضي الله تعالى عنهم جميعًا، قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدࣱ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِینَ مَعَهُۥۤ أَشِدَّاۤءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَاۤءُ بَیۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعࣰا سُجَّدࣰا یَبۡتَغُونَ فَضۡلࣰا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَ ٰ⁠نࣰاۖ سِیمَاهُمۡ فِی وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَ ٰ⁠لِكَ مَثَلُهُمۡ فِی ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِی ٱلۡإِنجِیلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ یُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِیَغِیظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِینَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةࣰ وَأَجۡرًا عَظِیمَۢا﴾ [الفتح:٢٩]، أي: محمد رسول الله، والذين معه على دينه أشداء على الكفار، رحماء فيما بينهم، تراهم ركعًا سُجَّدًا لله في صلاتهم، يرجون ربهم أن يتفضل عليهم، فيدخلهم الجنة، ويرضى عنهم، علامة طاعتهم لله ظاهرة في وجوههم من أثر السجود والعبادة، هذه صفتهم في التوراة. وصفتهم في الإنجيل كصفة زرع أخرج ساقه وفرعه، ثم تكاثرت فروعه بعد ذلك، وشدت الزرع، فقوي واستوى قائمًا على سيقانه جميلًا منظره، يعجب الزُّرّاع؛ ليَغِيظ بهؤلاء المؤمنين في كثرتهم وجمال منظرهم الكفار. وفي هذا دليل على كفر من أبغض الصحابة -رضي الله عنهم-؛ لأن من غاظه الله بالصحابة، فقد وُجد في حقِّه موجِب الغَيْظ، وهو الكفر. وعد الله الذين آمنوا منهم بالله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه، مغفرة لذنوبهم، وثوابًا جزيلًا لا ينقطع، وهو الجنة. ووعد الله حق مصدَّق لا يُخْلَف، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم في استحقاق المغفرة والأجر العظيم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم.

**عاشرًا:** قراءة السيرة النبوية كلّها، وبكلّ تفاصيلها ودقائقها، سواء كانت سيرة حياته قبل البعثة والإعداد الرباني له، وهجره للجاهلية بصورها، وصدقه وأمانته، نسبه وشرفه، وحياته بعد البعثة في المرحلة المكية، وحمله الرسالة، وتعرضه للأذى، وهجرته، وتأسيسه للدولة في المدينة المنورة، ونزول الأحكام عليه، وتنظيم العلاقة في المجتمع، وجهاده، وكذلك الدروس المستفادة من حياته وأخلاقه ومعاملاته، كالبيع والشراء، وأخلاقه مع أزواجه وأهل بيته، وأصحابه، إلى غير مما يتعلق بالمدرسة النبوية.

ولقد امتنّ الله ‏تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي هو من أنفسهم، يعرفون حاله، قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَاۤءَكُمۡ رَسُولࣱ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِیزٌ عَلَیۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِیصٌ عَلَیۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِینَ رَءُوفࣱ رَّحِیمࣱ﴾ [التوبة:١٢٨]، أي: امتنّ ‏الله ‏تعالى‏ على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم‏.‏‏﴿‏عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ‏﴾‏ أي‏:‏ يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم‏.‏‏﴿‏حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ‏﴾‏ فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه‏.‏ ‏﴿‏بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ‏﴾‏ أي‏:‏ شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم‏.‏ولهذا كان حقه مقدمًا على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره.

وقال القاضي عياض: « أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة، أو جميع الناس، أنه بعث فيهم رسولًا من أنفسهم يعرفونه، ويتحققون مكانه، ويعلمون صدقه وأمانته، فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم، لكونه منهم...» « الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، القاضي عياض، 1/16».

وكان علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه يقول: "كنا نعلم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن".

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "كان أبي يعلمنا المغازي ويعدها علينا ويقول: يا بَنيَّ، هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوها".

ويقول ابن حزم: " إنّ سيرة محمد صلى الله عليه وسلم لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورةً، وتشهد له بأنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حقًا، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته صلى الله عليه وسلم لكفى» « الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، 2/90».

**الحادي عشر:** الذب والدفاع عنه ﷺ أمام من ينتقص من قدره، ويُهوِّن من مكانته، وينتقص من سنته وأحكامه وأحاديثه، فوجبت حينئذ نصرته، والتصدي لأعدائه، ومن المعلوم أن من اجتهد في نصرة دين الله جل وعلا، فإن الله تعالى ناصره على عدوه لا محالة، وفي أيّ وقت، وفي كلّ حين. فالله جلّت قدرته قوي لا يُغالَب، عزيز لا يرام، قد قهر الخلائق وأخذ بنواصيهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِینَ أُخۡرِجُوا۟ مِن دِیَـٰرِهِم بِغَیۡرِ حَقٍّ إِلَّاۤ أَن یَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضࣲ لَّهُدِّمَتۡ صَوَ ٰ⁠مِعُ وَبِیَعࣱ وَصَلَوَ ٰ⁠تࣱ وَمَسَـٰجِدُ یُذۡكَرُ فِیهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِیرࣰاۗ وَلَیَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن یَنصُرُهُۥۤۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِیٌّ عَزِیزٌ﴾ [الحج:40].

ولقد تكفل الله جل وعلا بنصرة رسله عليهم الصلاة والسلام، ومَن تبعهم من المؤمنين، ويؤيدهم على مَن آذاهم في حياتهم الدنيا، ويوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِینَ ءَامَنُوا۟ فِی ٱلۡحَیَوٰةِ ٱلدُّنۡیَا وَیَوۡمَ یَقُومُ ٱلۡأَشۡهَـٰدُ﴾ [غافر:٥١]، أي: إنّا لننصر رسلنا ومَن تبعهم من المؤمنين، ونؤيدهم على مَن آذاهم في حياتهم الدنيا، ويوم القيامة، يوم تشهد فيه الملائكة والأنبياء والمؤمنون على الأمم التي كذَّبت رسلها، فتشهد بأن الرسل قد بلَّغوا رسالات ربهم، وأن الأمم كذَّبتهم.

ومن المعلوم عظم جزاء من يدافع ويرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو بكلمة، ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: «أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ أُفْرِدَ يَومَ أُحُدٍ في سَبْعَةٍ مِنَ الأنْصارِ وَرَجُلَيْنِ مِن قُرَيْشٍ، فَلَمّا رَهِقُوهُ، قالَ: مَن يَرُدُّهُمْ عَنّا وَلَهُ الجَنَّةُ؟ أَوْ هو رَفِيقِي في الجَنَّةِ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ، فَقاتَلَ حتّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقالَ: مَن يَرُدُّهُمْ عَنّا وَلَهُ الجَنَّةُ؟ أَوْ هو رَفِيقِي في الجَنَّةِ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ، فَقاتَلَ حتّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذلكَ حتّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ لِصاحِبَيْهِ: ما أَنْصَفْنا أَصْحابَنا» «أخرجه مسلم/١٧٨٩».

ومن عظيم المدافعة عن النبي ﷺ قوله لحسان بن ثابت، أهجهم وجبريل معك، ففي الحديث عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه: «سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ لِحَسّانَ بنِ ثابِتٍ: اهْجُهُمْ، أَوْ هاجِهِمْ، وَجِبْرِيلُ معكَ» «أخرجه البخاري (٣٢١٣)، ومسلم (٢٤٨٦)».

ومن النماذج العملية في النصرة والافتداء كما ورد في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: «كان أبو طَلْحةَ بيْنَ يَدَيْ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وكان رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَرفَعُ رَأسَهُ مِن خَلفِهِ؛ يَنظُرُ إلى مَواقِعِ نَبْلِهِ، فيَتَطاوَلُ أبو طَلْحةَ بِصَدرِه يَقي به رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ويقولُ: يا رسولَ اللهِ، نَحْري دونَ نَحْرِكَ» «أخرجه البخاري (٢٩٠٢)، ومسلم (١٨١١)».

**الثاني عشر:** الصلاة عليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فإنّه من المؤكد المعلوم أنّ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَكانةً عاليةً، ومنزلةً رفيعةً عندَ ربِّه سُبحانَه وتعالَى، ومن تلك الشواهد والأدلة على ذلك أنّ الله جل وعلا صلّى على نبيه محمد ﷺ، وأمر ملائكته وعباده المؤمنين بالصلاة والسلام عليه كذلك، وما ذاك إلا لعلو قدره ومنزلته عند ربه سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰۤىِٕكَتَهُۥ یُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِیِّۚ یَـٰۤأَیُّهَا ٱلَّذِینَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَیۡهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسۡلِیمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. أي: إنّ الله تعالى يُثْني على النبي ﷺ عند الملائكة المقربين، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى له، وملائكتُه يُثْنون على النبي ﷺ ويدعون له ويتضرعون، فيا أيها الذين صدَّقوا الله جل وعلا ورسوله ﷺ وعملوا بشرعه وبدينه وأحكامه وأوامره، صلُّوا على رسول الله ﷺ وسلِّموا عليه تسليمًا، تحية وتعظيمًا له، واقتداءً باللّه تبارك وتعالى وملائكته عليهم السلام، وجزاءً له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلًا لإيمانكم، وتعظيمًا له ﷺ، ومحبة وإكرامًا، وزيادة في حسناتكم، وتكفيرًا من سيئاتكم.

وكما هو معلوم أنّ ظاهر هذه الآية دليل على كمال رسول اللّه ﷺ، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند اللّه تبارك وتعالى، وعند خلقه، ورفع ذكره، ومما ينبغي أن يُعلم أنّ الأمر بالصلاة والسلام عليه ﷺ مشروع في جميع الأوقات، وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَرَادَ إِنَّ اللَّهَ يَرْحَمُ النَّبِيَّ، وَالْمَلَائِكَةُ يَدْعُونَ لَهُ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا: "يُصَلُّونَ" يَتَبَرَّكُونَ».

وَقِيلَ: الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ تعالى: الرَّحْمَةُ، وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ: الِاسْتِغْفَارُ.

وقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: صَلَاةُ اللَّهِ تعالى: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: الدُّعَاءُ.

وَقَالَ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ: وَرُوِيَ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالُوا: صَلَاةُ الرَّبِّ: الرَّحْمَةُ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: الِاسْتِغْفَارُ.

ولقد ذكر الحافظ ابن حجر بعد أن سرد أقوال العلماء في المراد بصلاة الله تعالى عليه وصلاة الخلق عليه، قال: «وأولى الأقوال ما جاء في تفسير سورة الأحزاب عن أبي العالية أن معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه وتعظيمه، وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى، والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة»« فتح الباري، لابن حجر، 28/2».

وقيل أنّ معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند جمهور العلماء: تكون من الله تعالى: الرحمة، ومن الملائكة: الاستغفار، ومن الآدميين: الدعاء.

وإنّ من المعلوم أن صيغ الصلاة على النبي ﷺ متعددة ومتنوعة، كما ورد ذكر ذلك في النصوص الصحيحة، وإنّ أفضل وأكمل هيئات الصلاة على النبي ﷺ ثبتت في السنة الصحيحة التي علّمها النبي ﷺ من سأله عنها، وهي قوله: «اللَّهُمَّ صَلِّ علَى مُحَمَّدٍ وعلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ علَى إبْرَاهِيمَ وعلَى آلِ إبْرَاهِيمَ؛ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ علَى مُحَمَّدٍ وعلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كما بَارَكْتَ علَى إبْرَاهِيمَ وعلَى آلِ إبْرَاهِيمَ؛ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»، ففي الحديث عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه قال:« لمّا نزلَتْ {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلى النَّبِيِّ} قالوا: كيف نصلِّي عليك يا نبيَّ اللهِ؟ قال: قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهمَّ بارِكْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ» «الألباني، أصل صفة الصلاة ٣‏/٩١٩،إسناده جيد».

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «مَن صلّى عليَّ صلاةً صلّى اللهُ عليه بها عَشْرًا» «أخرجه مسلم: (٤٠٨)».

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: « لا تجعلوا بيوتَكُم قبورًا، ولا تجعلوا قَبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتَكُم تبلغُني حَيثُ كنتُمْ» «أخرجه أبو داود (٢٠٤٢) واللفظ له، وأحمد (٨٧٩٠)، صحيح أبي داود، الألباني (٢٠٤٢)».

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: « ما جَلسَ قومٌ مجلِسًا لم يذكُروا اللهَ فيهِ ولم يُصلُّوا على نبيِّهم إلّا كان عليهم تِرةٌ فإنَّ شاءَ عذَّبَهم وإن شاءَ غفرَ لَهم » «أخرجه أبو داود (٤٨٥٦)، والترمذي (٣٣٨٠) واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٣٨)، وأحمد (٩٥٨٣)، حسن صحيح».

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: « رغِمَ أنْفُ رجلٍ ذكِرْتَ عندهُ فلم يُصِلّ عليّ ورغمَ أنفُ رجلٍ دخل عليه رمضانَ ثم انْسَلَخ قبل أن يُغْفر لهُ ورغمَ أنفُ رجل أدركَ عنده أبواهُ الكبر فلم يُدْخلاهُ الجنةَ» « أخرجه مسلم (٢٥٥١) مختصرًا بنحوه، والترمذي (٣٥٤٥) واللفظ له، وأحمد (٧٤٤٤)».

 ولقد ذكر ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه المشهور "جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام"، في الباب الرابع من الكتاب، مواطن الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إما وجوبًا وإما استحبابًا مؤكدًا، واحدًا وأربعين موطنًا، ومنها على سبيل المثال: الصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم، وفي الخطب: كخطبتي صلاة الجمعة، وعند كتابة اسمه، وفي أثناء صلاة العيدين بين التكبيرات، وآخر دعاء القنوت، وعلى الصفا والمروة، وعند الوقوف على قبره، وعند الهم والشدائد وطلب المغفرة، وغيرها من المواطن الكثيرة، التي أوصلها ابن القيم إلى (41) موطنًا في كتابه جلاء الأفهام، ص/281).

**الثالث عشر:** نشر دعوته ﷺ: فلقد حثَّت الشَّريعةُ المطهَّرةُ على تَبليغ كلّ ما جاء به الرَّسولُ ﷺ، وكلٌّ بحَسْب استطاعته وعلمه، بشرْطِ تحرِّي الصِّحَّة والصِّدق فيما يُبلِّغُ عن اللهِ عزَّ وجلَّ ورَسولِه ﷺ، ففي الحديث عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه: « أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً، وَحَدِّثُوا عن بَنِي إِسْرائِيلَ وَلا حَرَجَ، وَمَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ» «صحيح البخاري/٣٤٦١».

**الرابع عشر:** تعظيم سنته، وتوقير أحاديثه صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن السنة وحي من الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالأفُقِ الأعْلَى (٧) ﴾ " سورة النجم".

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه (إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) يقول: ما هذا القرآن إلا وحي من الله يوحيه إليه».

وعن قتادة، قوله ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾،أي ما ينطق عن هواه ﴿إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾ قال: يوحي الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل، ويوحي جبريل إلى محمد ﷺ.

وقال القرطبي: « وَفِيهَا أَيْضًا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ كَالْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ فِي الْعَمَلِ ».

وقال ابن كثير:« إِنَّمَا يَقُولُ مَا أُمِرَ بِهِ، يُبَلِّغُهُ إِلَى النَّاسِ كَامِلًا موفَّرًا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ»

وقال البغوي: «أَيْ: بِالْهَوَى يُرِيدُ لَا يَتَكَلَّمُ بِالْبَاطِلِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ يَقُولُ الْقُرْآنَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ».

ولقد أوتي النبي ﷺ القرآن الكريم، ومثله معه يعني السنة النبوية، ففي الحديث عن المقدام بن معدي كرب: أن النبي ﷺ قال: «ألا إني أُوتيت الكتابَ ومثلَه معَه، ألا يوشكُ رجلٌ شبعانَ يتكئُ على أريكتِه يُحدثُ بحديثٍ من حديثي فيقولُ: بينَنا وبينَكم كتابُ اللهِ ما وجدنا فيه من حلالٍ حلَّلناه وما وجدنا فيه من حرامٍ حرَّمنا» «أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (١٧١٧٤) واللفظ له، ‏مجموع فتاوى ابن باز ١٨٢‏/٩، إسناده جيد».

وقال المروذي: قال لي أحمد: ما كتبت حديثًا إلا وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم، وأعطى أبا طيبة دينارًا، فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت؛ (سير أعلام النبلاء للذهبي،11/ 214).

وقال أبو سلمة الخزاعي رحمه الله تعالى: "كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج ليُحدِّث، توضأ وضوءَه للصلاة، ولبِس أحسن ثيابه، ولبس قَلَنْسُوَة، ومشَّط لحيته، فقيل له في ذلك، فقال: أوقر به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم".

ومرَّ الإمام مالك على أبي حازم وهو يحدث فجازه، فقيل له، فقال: "لم أجد موضعًا فكرهتُ أن آخذَ حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم".

وكان محمد بن سيرين يتحدث فيضحك فإذا جاء الحديث خشع.

وجاء عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أنه سُئل عن حديثٍ وهو مضطجع في مرضه فجلس وحدث به، فقيل له: وددت أنك لم تتعَنَّ فقال: "كرهت أن أحدث عن رسول الله وأنا مضطجع"، وسُئل ابن المبارك رحمه الله تعالى عن حديث وهو يمشي، فقال: "ليس هذا من توقير العلم".

**الخامس عشر:** توقير وتعظيم اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم، فلا يذكر إلا مقرونًا بوصف النبوة أو الرسالة؛ فلا يذكر العبد اسمه إلا ويقول محمد رسول الله أو نبي الله، ولا يذكر اسمه مجردًا؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: 2]،أي: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي عند مخاطبتكم له، ولا تجهروا بمناداته كما يجهر بعضكم لبعض، وميِّزوه في خطابه كما تميَّز عن غيره في اصطفائه لحمل رسالة ربه، ووجوب الإيمان به، ومحبته وطاعته والاقتداء به؛ خشية أن تبطل أعمالكم، وأنتم لا تشعرون، ولا تُحِسُّون بذلك.

 كما نهانا ربنا جلّ وعلا أن ندعوه باسمه المجرد كما يدعو بعضنا بعضًا، قال الله تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: 63]، أي: لا تقولوا -أيها المؤمنون- عند ندائكم رسول الله: يا محمد، ولا يا محمد بن عبدالله، كما يقول ذلك بعضكم لبعض، ولكن شرِّفوه، وقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله. قد يعلم الله المنافقين الذين يخرجون من مجلس النبي ﷺ خفية بغير إذنه، يلوذ بعضهم ببعض، فليَحْذَر الذين يخالفون أمر رسول الله أن تنزل بهم محنة وشر، أو يصيبهم عذاب مؤلم موجع في الآخرة.

وكما أمرنا الله تعالى أن نوقرّه، فإنه علمنا كذلك كيفية توقيره، وذلك بأن نخاطبه بوصف النبوة أو الرسالة، وهكذا كان شأن ربه سبحانه وتعالى دومًا معه في مخاطبته في القرآن الكريم توقيرًا له وتعظيمًا؛ قال تعالى: ﴿یَـٰۤأَیُّهَا ٱلنَّبِیُّ إِنَّاۤ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدࣰا وَمُبَشِّرࣰا وَنَذِیرࣰا ۝٤٥ وَدَاعِیًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجࣰا مُّنِیرࣰا ۝٤٦﴾ [الأحزاب ٤٥-٤٦]، أي: يا أيها النبي إنّا أرسلناك شاهدًا على أمتك بإبلاغهم الرسالة، ومبشرًا المؤمنين منهم بالرحمة والجنة، ونذيرًا للعصاة والمكذبين من النار، وداعيًا إلى توحيد الله وعبادته وحده بأمره إياك، وسراجًا منيرًا لمن استنار بك، فأمْرك ظاهر فيما جئتَ به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها، لا يجحدها إلا معاند.

 وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: 67]، هذا أمر من الله جل وعلا لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله تبارك وتعالى إليه، ويدخل في هذا كلّ أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية. فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا وأنذر، وبشر ويسر، وعلم أكمل وأفضل تعليم، بقوله وفعله وكتبه ورسله. فلم يبق خير إلا دلّ أمته عليه، ولا شرّ إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ومن بعدهم من أئمة الدين وعلماء المسلمين.﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ ْ﴾ أي: لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك سبحانه وتعالى ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ْ﴾ أي: فما امتثلت أمره.﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ْ﴾ هذه حماية وعصمة من الله جل وعلا لرسوله ﷺ من الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ، ولا يثنيك عنه خوف من المخلوقين فإن نواصيهـم بيد الله تبارك وتعالى، وقد تكفل بعصمتك، فأنت إنما عليك البلاغ المبين، فمن اهتدى فلنفسه، وأما الكافرون الذين لا قصد لهم إلا اتباع أهوائهم فإن الله تعالى لا يهديهم ولا يوفقهم للخير، بسبب كفرهم وجحودهم لما جئت به من عند الله تبارك وتعالى.

**هذا ما تمّ ايراده، نسأل الله جلّ وعلا أن نكون في الفردوس الأعلى في الجنة مع نبيّنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ووالدينا أجمعين، وأن ينفع بما كُتب، وأن يجعله من العلم النافع والعمل الصالح، والحمد لله رب العالمين على الفضل والتمام.**

**المصادر والمراجع:**

1- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، للإمام محمد بن جرير الطبري.

2- الجامع لأحكام القرآن، (تفسير القرطبي)، للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي.

3- تفسير القرآن العظيم، (تفسير ابن كثير)، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير.

4- معالم التنزيل (تفسير البغوي)، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي.

5- التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي.

6- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي.

7-أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الشيخ جابر بن موسى بن عبد القادر المعروف بأبي بكر الجزائري.

8- المختصر في التفسير، مركز تفسير.

9- التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

10- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.

11- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.

12-مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني.

13-سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني.

14-سنن الترمذي،  الحافظ أبو عيسى محمد الترمذي.

15-السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي.

16- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن ماجه القزويني.

17- صحيح الجامع، المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

18- السلسة الصحيحة، المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

19- صحيح النسائي، المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

20- صحيح الترمذي، المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

21- الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، القاضي عياض.

22- الشمائل المحمدية، للإمام أبي عيسى الترمذي، صاحب كتاب سنن الترمذي.

23- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.

24- جلاء الأفهام في فضائل الصلاة والسلام على خير الأنام، شمس الدين بن محمد بن أبي بكر الدمشقي، ابن قيم الجوزية.

25- الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، لابن حجر الهيتمي.

26- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري.

27- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية.

28-حاشية بلوغ المرام، للعلامة عبدالعزيز ابن باز.

29- شرح رياض الصالحين، للعلامة محمد بن صالح العثيمين.

30- شرح حلية طالب العلم، للعلامة محمد بن صالح العثيمين.

31- الرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري.

32- حقوق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد بن خليفة التميمي.

33- حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته، د. سعيد بن علي القحطاني.

34- حقوق النبي بين الإجلال والاخلال، لمجموعة من المؤلفين.

35- موسوعة الدرر السنية.